الفتاوى الكبرى لإبن تيمية وأحكام تلميذه ابن القيم تسرف في تشريع القتل على كل من يخالفهما فى الرأى .. فصاحب البدعة يستحق القتل .. ومن السهل أن ترمي كل فرقة الفرقة الأخرى بأنها صاحبة بدعة .. وإذا عرفنا أن المسلمين فرق وطوائف شتى أدركنا أن ابن تيمية وتلاميذه وأتباعه يختلقون باسم الشريعة الاسلامية مصدراً للتشريع يتيح لكل طائفة أن تقتل مخالفيها بتهمة الكفر وتحت غطاء حد الردة .. في الإتجاه نفسه يفتي إبن تيمية بقتل أى مسلم بدعوى أنه منافق يبطن الكفر ويظهر الإسلام .. والأخطر من كل ذلك إن إبن تيمية يعطي الحجة لأي فرد لكى يقتل من يشاء من المسلمين بهذه التهمة وبدون استتابة ، حيث يقول : "أما من أظهر الإسلام وأبطن الكفر فهو المنافق الذى يسميه الفقهاء بالزنديق فقد أجمع الفقهاء على أنه يقتل وإن تاب" ؟؟؟

ونشأ ما يعرف بعلم الجرح والتعديل وتمحيص أحوال الرواة..حيث قسموا الأحاديث إلى قسمين: متواتر وآحاد.

فالمتواتر هو ما أخبر به جماعة بلغوا فى الكثرة مبلغاً يستحيل معه تواطؤهم على الكذب وهو بهذا يفيد اليقين، و لا يدخل فى موضوع الجرح والتعديل وعملية الإسناد، لأن الجرح والتعديل قائم على الشك فى الحديث ورواته، والمتواتر منزه عن الشك..

ولذلك قالوا أن إثبات التواتر فى حديث ما عسر جداً. وقال الشاطبى: أعوز أن يوجد عن رسول الله متواتر، وقال ابن حبان السبتى أن الأحاديث كلها المروية عن الرسول أحاديث آحاد، وقال النووي فى التقريب: المتواتر من الأحاديث المعروفة فى الفقه وأصوله قليل جداً لا تكاد توجد..

أما أحاديث الآحاد فهى كل المرويات عن الرسول من أحاديث فى نظر أغلبية المحققين، ولذلك يقسمون أحاديث الآحاد حسب درجتها من الصحة إلى صحيح وحسن وضعيف وكلها تفيد الظن ولو كانت عندهم صحيحة، إلا أنهم فى ذلك التقسيم مختلفون لأنه علم قابل للشك واختلاف وجهات النظر..

والملاحظ أن أحاديث الآحاد كانت تتكاثر وتتوالد كلما تباعد الزمن عن عهد الرسول ، فقد كانت فى عهد الأمويين أقل منها فى العصر العباسى الأول ، وعلى سبيل المثال فإن الإمام مالك كتب الموطأ فى أواخر عهد المنصور العباسى أى فى سنة 148، وعدد أحاديثه (1008 حديثاً) بعضها منسوب للنبي وبعضها منسوب للصحابة فقط .

بعد أن غربلها ونقل وأسقط منها الكثير.

وبعده بقرن من الزمان جمع البخارى (600) ألف حديث اختار منها البخارى ما بين (3: 4) آلاف حديث، ومات البخارى سنة 256 هـ وبعد البخارى زاد تضخم الأحاديث إلى درجة أن كتب ابن الجوزى (توفي سنة 597) فى الأحاديث الموضوعة.. وهكذا تضخمت أحاديث الآحاد بمرور الزمن لأن كل زمن كان يصنع من الأحاديث ما يعبر عن أحوال الناس فيه..

وكل تلك الأحاديث غريبة عن العصر المضىء عصر النبى عليه الصلاة و السلام، وهى بنفس القدر تعبر عن العصور التى صيغت فيها. لذلك كان المحققون فى العصور المتأخرة كالسيوطى (ت 911) أكثر تساهلاً فى قبول الأحاديث وتصحيحها وأكثر دفاعاً عن الباطل منها.

ثم جاء عصر الصحوة الإسلامية فكان الإمام محمد عبده لا يأخذ بحديث الآحاد مهما بلغت درجته من الصحة فى نظر المحدثين، ولذلك فإنه مثلاً استنكر حديث اليهودي الذى سحر النبى ، وحديث المسلم الذي من واجبه قتل اليهودي الى قيام الساعة حتى لو أختبأ اليهودي خلف شجر او حجر ، مع أن هذين الحديثين مذكوران فى البخارى ومسلم وأحمد والنسائى..

أمّا حديثا الردة المطعون فهما من أحاديث الآحاد.. فهل يمكن الأخذ بهما ؟ وهل يمكن لهما الاستقلال بالتشريع؟

إن التراث الفقهي على المذاهب الأربعة الذى تحدث عن حد الردة يقول أن الحدود الشرعية التى اتفق عليها الفقهاء "هى ثلاثة فقط (السرقة– الزنا– القذف) أي ليس هناك اتفاق على ما يسمى بحد الردة.. أى أن بعض الفقهاء لم يأخذ بحديثى الردة المطعون فيها، وبمعنى آخر ليس هناك إجماع بين الفقهاء حول حد الردة.

والشيخ محمد الغزالى الذى تحمس لحد الردة جاء فى كتابه " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث " ما يؤكد على نفي حد الردة.. يقول " أحصيت أكثر من مائتى آية تتضمن حرية التدين وتقيم حدود الإيمان على الاقتناع الذاتى وتقصى الإكراه عن طريق البلاغ المبين" إلى أن يقول " فأما تصوير الإسلام بأنه يتحرش بالآخرين ويتعطش لدمائهم فهو افتراء على الله والمرسلين ، ومع أننا أشبعنا هذا الموضوع بحثاً فى كتبنا الأخرى فإن الحاجة إلى الكلام فيه لا تزال ماسة، ذلك أن حديث الإفك لا ينقطع" ، ثم يقول "وفى هذه الأيام النحسات شاعت الخلافات فى أرجاء الأمة وقتل بعضها بعضاً بل أن حصيلة القتلى في الفتن الداخلية أربى من القتلى فى محاربة الاستعمار الصليبى" وتأسيساً على ما قاله الشيخ محمد الغزالى رحمه الله فإن حد الردة المزعوم يناقض الآيات القرآنية التى تتضمن حرية التدين وتنفى الإكراه فى الدين، والفقرات التى نقلناها من كلامه تنطبق تماماً على المروجين لحد الردة المزعوم والمتخصصين فى اتهام الغير بالكفر والردة والمتعطشين لدماء المسلمين .

كما يقول الغزالى أن الحديث يسقط إذا كانت به علة فادحة أو كان شاذاً، وحديثا الردة ينطبق عليهما الاثنان معاً طالما أن سيرة النبى باعتراف الغزالى تنفى أن النبى قتل واحداً من المرتدين.

والغزالى يقول أن حديث الآحاد ـ حتى لو كان صحيحاً ـ فإنه يفسد اليقين " أما الزعم بأنه يفيد اليقين كالأخبار المتواترة فهى مجازفة مرفوضة ".

ويعني أنها مجازفة أن نسفك دماء المسلمين اعتماداً على حديث صحيح يفيد الظن فكيف إذا كان حديثاً كاذباً؟

والشيخ الغزالى يوضح الأمر بالنسبة للأحاديث الضعيفة فيتسامح معها بشرط أن تكون بعيدة عن العقائد والتشريع يقول: "من حق المهتمين بالأحاديث الضعيفة أن يذكروها بعيدة عن دائرة العقائد والأحكام التشريعية فإن الدماء والأموال والأعراض أكبر من أن نتداول فيها شائعات وروايات "!!.

وعليه فإن حديثي الردة ـ وهما من الشائعات والروايات ـ ينبغى ألا يُقام عليها تشريع يسفك دماء المسلمين ظلماً وعدواناً..

ثم يهاجم الشيخ محمد الغزالي الغزالى المتمسكين بالأحاديث الباطلة ويقول " وقد ضقت ذرعاً بأناس قليلى الفقه والقرآن كثيري الظن فى الأحاديث يصدرون الأحكام ويرسلون الفتاوى فيزيدون الأمة بلبلة وحيرة، ولازلت أحذر الأمة من أقوام بصرهم بالقرآن كليل وحديثهم عن الإسلام جرئ واعتمادهم على مرويات لا يعرفون مكانها من الكيان الإسلامى كبير و مطلق " .

وهو بذلك يضع النقاط فوق الحروف فى موضوع الردة المعتمد على مرويات قل من يعرف مكانها من الكيان الإسلامى.

وقد استشهد الشيخ الغزالى بفتوى الأزهر فى كتابه "تراثنا الفكرى" والفتوى تتحدث عن الذي ينكر استقلال السنة بالإيجاب والتحريم أي التشريع هل يعد كافراً أم لا..

يقول الشيخ الغزالى فى كتابه المذكور: "بيد أن بعض الفتية يوقدون فى عصرنا هذا فتناً محرمة بسوء مسلكهم" إلى أن يقول "أننى أذكر هذا الكلام وبين يدى فتوى أصدرها الأزهر الشريف حسماً لفتن شديدة أشعلها فتية أغرار باسم إقامة السنة وتحت عنوان السلفية وقد توسعت الفتوى فى شرح الأحكام والأدلة حتى تسد الطريق أمام أصحاب الشغب والغرض".

حد الردة حكم بقتل الناس جميعا

سيطر المعتزلة على الخلافة العباسية فى عصر المعتصم والواثق واضطهدوا ابن حنبل وأتباعه، وفى عهد الخليفة الواثق حوكم أحمد بن نصر الخزاعي أمام الخليفة الواثق وقتله الخليفة بيده معتقداً أنه يتقرب إلى الله بدمه ومتهماً إياه بالردة والزندقة.

وكان المعتزلة يرون أن القرآن مخلوق وأن رؤية الله تعالى مستحيلة وكان الحنابلة يرون أن القرآن غير مخلوق لأنه كلام الله تعالى وأن رؤية الله جائزة، وكان لكل فريق أدلته من تأويل الآيات ومن الأحاديث التى توافق مذهبه.

وننقل من تاريخ ابن الجوزي الحنبلي محاكمة ابن نصر الخزاعي إمام الخليفة الواثق يوم السبت غرة رمضان 231 قال له الخليفة: ما تقول فى القرآن . قال: هو كلام الله. قال: أفمخلوق هو؟. قال: هو كلام الله. قال: أفترى ربك فى القيامة ؟. قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك يرى كما يرى المخلوق هو؟. قال: هو كلام الله. قال: المحدود المجسوم ويحويه مكان ويحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته.. ما تقولون فيه؟. فقال عبد الرحمن بن إسحق القاضى: هو حلال الدم. وقال جماعة الفقهاء كما قال، فظهر ابن أبى داود (شيخ المعتزلة) أنه كاره لقتله، وقال: يا أمير المؤمنين شيخ لعل به عاهة أو تغير عقله، يؤخر أمره ويستتاب. فقال الخليفة الواثق: ما أراه إلا مؤذناً بالكفر قائماً بما يعتقده منه. ودعا الخليفة الواثق بالصمامة (سيف عمرو بن معد يكرب) وقال: إذا قمت فلا يقومن أحد معى فإنى أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذى يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها، ثم أمر بالنطع (كساء يجلس عليه المحكوم عليه بالإعدام حتى لا يلوث المكان بدمه) فأجلسه عليه وهو مقيد، وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشى إليه، حتى ضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد، فنصب إلى الجانب الشرقى أياماً وفى الجانب الغربى أياماً، وعلقت ورقة فى أذنه فيها: "بسم اله الرحمن الرحيم: هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره.. " .

أي أن الخليفة الواثق حكم بكفره وقتله بيده وحكم أيضاً بدخوله النار لأنه رفض القول بخلق القرآن !!

أى أن الخليفة الأحمق ما ترك لله تعالى شيئاً..

وظل رأس أحمد بن نصر مصلوباً ببغداد، وظل جسده مصلوباً بسامراء إلى أن أنزل وجمع بين رأسه ويديه ودفن فى مقبرة..

وقد أشاع الحنابلة الذين لا يؤمنون بأن القرآن مخلوق كرامات حول رأس أحمد بن نصر وأشاعوا كثيراً من الأحاديث التى تعزز مذهبهم، وتؤكد على أهمية تغيير المنكر باليد . وكان أحمد بن نصر فى حياته من المشهورين بالدعوة الى تغيير المنكر باليد، وفى النهاية رأى الخليفة المتوكل العباسى أن يقتنع بفكر الحنابلة ، فأعادوا الإعتبار لأحمد بن نصر الذي قتله الخليفة الواثق بيده تقربا الى الله ، فاستطاعوا اضطهاد خصومهم من المعتزلة والصوفية واستطاعوا اضطهاد النصارى واليهود أيضاً!!

ومرت الأيام وأصبحت للصوفية المكانة والسيطرة ، فاضطهد أتباع الصوفية خصومهم من فقهاء الحنابلة، وفى القرن الثامن الهجرى كان ابن تيمية أكبر فقيه حنبلي يواجه اضطهاد الصوفية وأعوانهم من الفقهاء، وكان يخرج من السجن إلى النفي ، إلى محاولات القتل ، وانعكس ذلك على فتاويه فصار أكثر حدة فى الحكم على خصومه وأكثر جرأة فى الإفتاء بقتلهم وإستحلال دمائهم !!؟؟ .

وبنظرة سريعة إلى الفتاوى الكبرى لإبن تيمية وأحكام تلميذه إبن القيم نجد أنها تسرف في تشريع القتل باسم الشريعة الاسلامية على كل من يخالفهما فى الرأي والإعتقاد .. فصاحب البدعة يستحق القتل .. ومن السهل أن ترمي كل فرقة الفرقة الأخرى بأنها صاحبة بدعة .. وإذا عرفنا أن المسلمين فرقٍ وطوائف شتى أدركنا أن ابن تيمية وتلاميذه وأتباعه يصيغون مصدرا تشريعياً يبيح لكل طائفة مسلمة قتل وسفك دم غريمتها المسلمة بذريعة الكفر ، وتحت غطاء حد الردة !!

في هذا الإطار التكفيري الدموي القاتل يفتى ابن تيمية بتكفير المسلم الذى يجهر بالنية فى الصلاة حتى لو كان فى جهره يعتقد أن ذلك مما يأمر به الله تعالى ، حيث يدعو ابن تيمية وإبن القيم وتلاميذهما وأتباعهما صراحة إلى قتله !!

كما يفتي ابن تيمية بقتل المسلم الذى لا يلتزم بالصلاة فى وقتها أو يؤخر صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس أو يؤخر صلاة الظهر والعصر إلى بعد غروب الشمس.

ويفتي أيضا بقتل المسلم الذى يحضر المسجد ولا يشارك فى صلاة الجماعة ، و بقتل المسلم الذى يخالف رأي ابن تيمية فى قصر الصلاة فى السفر. وفى كل ذلك يشترط الاستتابة.

والأخطر من كل ما تقدم يفتى بنابن تيمية بقتل أى مسلم بدعوى أنه منافق يبطن الكفر ويظهر الإسلام، أى يعطي الحجة لأى فرد لكى يقتل من يشاء من المسلمين بهذه التهمة وبدون استتابة فيقول ابن تيمية "أما قتل من أظهر الإسلام وأبطن الكفر فهو المنافق الذى يسميه الفقهاء بالزنديق فأجمع الفقهاء على أنه يقتل وإن تاب"!! أي لا تجديه التوبة.. طالما رأى الفقهاء أنه زنديق..

بمعنى أنه يفتى بقتل الناس جميعاً..

ولم يستطع ابن تيمية تنفيذ تلك الفتاوى إذ أخمد الصوفية وأعوانهم من الفقهاء والمماليك حركته وتسيد التصوف وخرافاته العصرين المملوكى والعثمانى، ثم صحا المسلمون على الاستعمار الأوروبى يدق عليهم الأبواب..

وبدأت حركتان للنهضة.. حركة فى الجزيرة العربية قام بها الوهابيون تحارب التصوف ورموزه وتعيد دعوة ابن تيمية وتعتمد على الفقه الحنبلى والتشدد السلفى.. وحركة فى مصر تتطلع للأخذ عن أوروبا قام بها محمد علي الذى أسس فى مصر الدولة الحديثة وأرسل البعوث لأوروبا فى نفس الوقت الذى قضى فيه على الرموز القديمة من المماليك والحامية العثمانية وسلطة الشيوخ ورجال الدين فى الأزهر.. بل أرسل جيوشه تقضى على الدولة الوهابية وتدمر عاصمتها الدرعية ، وتخلص بهذا من بقايا الجند العثمانيين، وبدأ فى إنشاء جيش عصرى حديث.

في هذا السياق تلونت الصحوة الدينية المعاصرة بالفقه البدوي الحنبلي المتشدد. وركزت على الجانب العقابي واحترفت الحظر والتحريم ورفعت شعار حرب الردة ترهب به الخصوم . ومن الطبيعي فى هذا الجو أن يكون الإسلام العظيم متهماً بالإرهاب والتطرف وسفك الدماء.

هذا مع أن الله تعالى أرسل رسوله الكريم رحمة للعالمين وليس لسفك دماء العالمين . هذا مع أن المسلم إذا ذبح دجاجة استأذن الله تعالى وذكر اسمه. ولكن محترفي التدين يحكمون بقتل الناس جميعاً وباسم الله وبالمخالفة لتشريع الله..

إن مفهوم الردة كما تعلمناه فى الأزهر هو قول كفر أو اعتقاد كفر أو فعل كفر، وبهذا المفهوم يكون من السهل أن تتهم الناس جميعاً بالردة ويكون من السهل أن تحكم بقتلهم جميعاً..

وقد كان ذلك مجرد سطور فى كتب الفقه التراثية المقررة علينا فى سنوات الدراسة الإعدادية والثانوية والجامعية بالأزهر..

ولكنهم نشروا هذا الكلام على أنه الإسلام ، وأتيحت لهم فرص السيطرة على المؤسسات التعليمية و أجهزة الإعلام . فنشأ جيل جديد قد رضع التطرف على أنه الإسلامو، ولأنه جيل قد صودرت أحلامه وضاعت حقوقه الطبيعية فى العثور على عمل ومسكن وحياة كريمة فقد كفر بالدولة وكفر بالمجتمع وحكم بكفر الجميع ، وبالتالى استحل دماء الناس جميعاً ، حتى عرفت مصر لأول مرة فى تاريخها أن يقوم بعض أبنائها بالقتل العشوائى فى الشوارع فتنفجر القنابل ويموت الأبرياء من الأطفال والنساء والصغار والكبار.

وهذا القاع الذى وصلنا إليه له بداية.. هى فتوى بقتل نفس بغير حق.. ويترتب على هذه الفتوى استباحة قتل الناس جميعاً ، حيث ينطبق على هؤلاء قوله تعالى: (أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ إِفَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) .

صدق الله العظيم

ودائماً صدق الله العظيم

أكاديمي أزهري ومفكر اسلامي مصري

تأملات حول الظلمات والنور فى القرآن

احمد دهمش

هل يوجد على وجه هذه الأرض من لا يعرف النور بكل ما تعنيه الكلمة فلولا النور لما استطعنا الرؤية فهل يستطيع أي إنسان أن يرى أو أن يمارس حياته فى الظلام ؟ الإجابة لا .. لا يستطيع الإنسان العيش في الظلام بدون النور وهل من أحد يستطيع أن يأتيك بالنور غير الله للاجابة على هذا يقول تعالى " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) القَصص " ومن هنا كان الأجدر بنا أن نتذكر نعمة الله سبحانه وتعالى علينا بأن جعل لنا نورا نهتدي به في الظلمات " أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً (15) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (16) نوح " وهذا النور في ظلمات الليل فما بالكم بظلمات الأنفس والبشر فسبحان الله الذى جعل لنا نورا نهتدي به في الخروج من هذه الظلمات إلى النور .

وأستشهد هنا من قصة موسى عليه السلام حين سار بأهله ورأى النار " وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) طَه

فالنار هنا كانت بمثابة الدليل الذي رآه موسى للاهتداء إلى الطريق أو ما قد ينتفع منه الفرد في مثل هذه الظروف وهذا واضح من خلال الآيات وهو لا يعلم بما قد سيحدث عند النار. وقد أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون والى بني إسرائيل لكي ينذرهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِلْمُتَّقِينَ (48) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ(49) الأنبياء " لقد ذكر الله تعالى أن ما انزله على موسى أى التوراة الفرقان وضياء ونحن لا نحتاج إلى توضيح ما هو الضياء أو الفرقان حيث أن كلاهما مما يساعد البشر على الهداية.

وأيضا يقول سبحانه وتعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً (175) النساء.

وهكذا كان وصف الله تعالى للقرآن الكريم بأنه نور مبين أى نور كامل واضح لا شك فيه وأن من يعتصم بهذا القرآن فسيدخله في رحمة منه وفضل ويهديه إليه صراطا مستقيما فهل يوجد نور اسطع من ذلك كي نهتدي به ليخرجنا من الظلمات إلى النور؟

انه النور الذى انزله الله ووصفه بأنه مبين أى واضح فلماذا نجد من يقول أن الروايات والأحاديث التي نقلها الينا بشر مثلنا تنسخ حكم الله في القرآن أو تضيف اليه .. فهل القرآن (نور الله) ناقصاً . تعالى الله عن ذلك؟ وهل رأينا نورا ناقصا أو ضياء ناقصاً وغير واضح.

لقد قال الله أن القرآن نور مبين فهل وجدناه معتما كي يبينه أي شيء آخر ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و كبرت كلمة تخرج من أفواههم .خصوصا وان هناك من يجعل بعض الروايات والأحاديث التي يدخلها الشك في مقام التشريعات والأحكام التي جاءت من عند الله تعالى في القرآن الذي نقله الينا بنينا الكريم (ص) عبر الوحي علما بأن تلك الروايات ظهرت بعد زمن طويل من موت النبي عليه الصلاة والسلام بأكثر من 200 عام ، وقد وضعها ونقلها الينا بشر مثلنا عبر كتب بشرية لا يجوز أن نشركها بكتاب الله !!

فأي أحق أن نتبع.. كلام الله سبحانه وتعالى أم كلام البشر الذين يصح عليهم النسيان والهوى؟

الأحق بأن نتبع كلام الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم الذي وصفه بالنور وقد يتبين لنا هذا المعنى في سورة النور يقوله تعالى "وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (34) اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) النور .

ويضرب الله الأمثال للناس فإن كل ما جاء في هذه الآية من توضيح لقوة هذا النور وشدة وضوحه والذي يخرج من هذه المشكاة والتي هي بمثابة جهاز ضوئي هائل ، إن دل على شيئ فإنه يدل على قوة البرهان الذي هو القرآن وهل يستطيع أحد أن يدعى أن القرآن (نور الله) أنه غير كاف للهداية أو أنه يحتاج لنور آخر غير القرآن.. ؟ فقد وصفه الله بأنه نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء .

ونلاحظ التضاد في الوصف بين النور والظلمات " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ " (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (40) النور، ففى هذه الآية الكريمة وصف لاعمال الذين كفروا فأتى فى وصفين هما :.

الأول: هو كالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء ويظل طيلة حياته وهو يجرى وراء سراب حتى يتوفاه الله على ذلك الحال وقد أضاع حياته فى يحث عن الماء بالطريق الخطأ الذى لا يريده الله .

الثانى : أن أعمال الذين كفروا كظلمات فى بحر لجى متلاطمة أمواجه ومن فوقه سحاب يمنع الرؤية والاهتداء ،حيث وصف الله الشكل السابق بانها ظلمات بعضها فوق بعض فى هذه الحياة المظلمة لا يستطيع أن ينير هذه الظلمات إلا الله تعالى وليس أحدا غيره .

فلماذا لا نتبع النور الذي انزله الله تعالى على رسوله الكريم (ص) ،والذي هو مكلف بتوصيله لنا ،والذي وصله لنا وأتمه على أكمل وجه ، والذي يضمن حفظه لنا هو الله سبحانه وتعالى من أي حذف أو اضافة وكفى بالله حفيظا " ..إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ، وقد تحدى الله به الانس والجن أن يأتوا بسورة من مثله ، وهذا طبعا مستحيل لانهم لايستطيعون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وفي آخر كلامي كما قال رب العزة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور .

وأرجو من الله أن يهديني إلى أقرب من هذا رشدا.

نظرية العقاب الإلهى بالكوارث

د.خالد المنتصر

بعد إعصار تسونامى الرهيب الذى إجتاح بعض الدول الآسيوية، تزعم د. زغلول النجار فريقاً يتبنى مانستطيع أن نطلق عليه التفسير العقابى للكوارث الطبيعية ، وملخص فلسفة هذه المدرسة أن كل كارثة طبيعية تحيق بالبشر هي عقاب إلهى لأهل هذه المنطقة وتشفى من ضحاياها، وإندرج تحت هذه الوسائل العقابية الإلهية البراكين والزلازل والأعاصير والأوبئة والهزائم والمصائب، وصار تسونامي هو إنتقام رباني من الدول التى تسمح بالسياحة للكفرة، وتتسامح مع البكيني والقمار والخمر، وحاول الفريق الزغلولى أن يروج لصورة إدعوا إنها التقطت بالأقمار الصناعية لمسجد هو الوحيد الذي نجا من الإعصار، وتناسى الفريق أن يضم إليها صور عشرات الآلاف من القتلى، ومن بينهم مسلمون، وملايين المشردين الذين حطمت أكواخهم الهشة وعششهم الصفيح بدون أي ذنب، برغم أن قصور أصحاب نوادى القمار وتجار الخمر لم تمس بسوء أو مجرد خدش!!

وانطلاقا من هذا التفسير العقابي للكوارث نشط أبناء المدرسة الزغلولية فى دراسة التاريخ بأثر رجعى، فصارت هزيمة 1967 عقاب إلهى نتيجة إنغماس مصر فى الشيوعية وحرب اليمن برغم ألاف الجنود المسلمين الذين قتلوا ومثلهم من المهجرين، وأصبحت 11 سبتمبر هى لطمة إلهية للأمريكان الشياطين على تأييدهم لليهود برغم أن حطام البرجين كان يضم أشلاء مسلمين، أما الزلزال المصرى فقد تركز معظمه فى سفح المقطم حيث تسكن أغلبية من جامعى القمامة لاتدفع الجزيه وتربى الخنازير !!. عندما هدد إعصار جونو شواطئ إيران والبلاد الإسلامية الخليجية بمافيها السعودية، أعلنت حالة التأهب العسكرى وأيضاً التأهب الفكرى، فقد وقع أتباع المدرسة الزغلولية فى هذه البلاد فى حيص بيص، كيف سيخرجون من هذا الفخ؟، الإعصار قادم ومعناه إنتقام ربانى من دول إسلامية تفرض الحجاب وتصلى وتصوم وبها مطوعون ومساجد وهيئات أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، بإختصار بها كل المظاهر الإسلامية، فكيف طبقاً للتفسير الزغلولى أن ينتقم الرب من هذه البلاد . ولذلك كتب بعض المستنيرين ومن بينهم د. محمد القويز فى جريدة الرياض يحذر من تبنى هذا التفسير، وكان لزاماً علينا أن نطرح على أتباع مدرسة زغلول النجار تلك الأسئلة المشروعة، ولزاماً عليهم أن يجيبوا حتى تقتنع العقول التى تنشد الحقيقة.

السؤال الأول هو لماذا داهم إعصار جونو شواطئ عمان الإسلامية، وإيران الإسلامية، والفجيرة الإسلامية، والشارقة الإسلامية، وترك الأساطيل الأمريكية التى تمرح قبالة شواطئ دول الخليج بحاملات طائراتها وبوارجها وغواصاتها وجنودها وصواريخها وقنابلها ومايوهاتها وزجاجات منكرها وبورنوهاتها.... الخ؟؟؟!!!.

السؤال الثانى: توقع البعض أن يكون الإنتقام الربانى فى الإمارات هو من نصيب دبى المنفتحة على الغرب، والتى تسمح بملابس ذات نمط غربى، وكازينوهات وملاهى وفنادق لاتطبق عليها قوانين الشريعة الصارمة، ونساء سافرات، وهى دولة تسمح للآخر بممارسة شعائره، وتحتضن مبرمج الكمبيوتر البوذى والهندوسى بل وتؤمنهما مادياً وتهتم بهما أكثر من الموظفين العاديين المغتربين المسلمين العرب !.

أليست كل هذه أسباب من وجهة النظر الزغلولية كافية لكى يصب إعصار جونو لعناته على دبى؟!، الغريب والمدهش أنها نجت من الإعصار فى نفس الوقت الذى داهم إماراتى الفجيرة والشارقة المحافظتين وألحق بهما خسائر وأضرارا كبيرة .

السؤال الثالث : هل طاعون عمواس وعام الرمادة وهزيمة أحد والخروج من الأندلس عقاب للمسلمين ومن بينهم الصحابة رضوان الله عليهم؟؟.

السؤال الرابع: هل يتفق مفهوم العقاب الإلهى مع العدل الإلهى والرحمة الإلهية؟، ولماذا نتبنى ترويج هذه الملامح القاسية المتجهمة للدين الإسلامى الذى جوهره الرحمة والعقل والعدل؟، ولماذا نصر على مفهوم أن هذه الحياة الدنيا ماهى إلا فخ يقع فيه البشر محاطين بمشاعر التلذذ والتشفى السادية، بدلا من تبني مفهوم أن هذه الدنيا خلقنا فيها لإعمارها وحضارتها وبذر بذور الخير والحق والجمال والسعادة فى تربتها.

حاول البعض الخروج من هذا المأزق بترويج أن عمان ينتشر فيها المذهب الأباضى، وإيران شيعية رافضية، وهما دولتان ليستا من الفرقة الناجية !!، وهنا يطل السؤال الخامس وماذا عن السنة التى تقطن مسقط والشارقة والفجيرة، ولماذا نهتف لإيران وقت القنبلة الذرية وتحدى أمريكا ونقول إيران الإسلامية ونتملص منها ونستنكرها ساعة الكوارث ونقول إيران الشيعية؟!

أعتقد أن من حقنا على أتباع المدرسة الزغلولية أن يردوا على أسئلتنا، ونحنفى الإنتظار حتى إشعار آخر أو بالأصح إعصار آخر !.

القرآن نص قطعي كلي يقاس عليه موضوع الردة

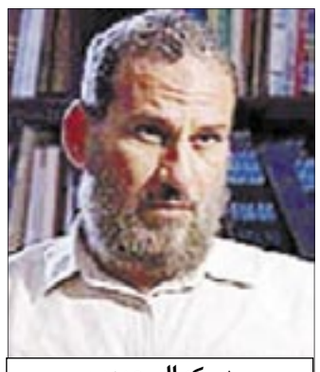

د. كمال حبيب

أن موضوع حد الردة ليس مجمعا عليه، وهناك اختلاف حوله بين الفقهاء، وتفسيرات متعددة حوله، ولم يطبق حد الردة إلا مرات قليلة جدا في تاريخ الاسلام. والثابت عند العلماء أن نصا مثل " لا اكراه في الدين " هو نص قطعي ويمثل قاعدة تفهم في سياقها كل النصوص الجزئية، فإذا تعارض معه نص جزئي فيجب أن يخضع في تفسيره للنص الكلي القطعي.

والحديث الذي يقول "التارك لدينه المفارق للجماعة" يؤكد أن القضية ليست مجرد ترك الدين فقط ولكن أن يقوم ذلك التارك بتصرف حركي ضد الجماعة نفسها، بعد أن يعتنق دينا آخر أو دعوة الحادية وهكذا..

لقد تكلم كثير من علماء المسلمين عن المبتدع وممكن أن نقيس على ذلك مسألة المرتد، فقد قالوا إنه لو كان فردا لا يتخذ موقفا ضد هوية الأمة والجماعة التي يعيش فيها، ففي هذه الحالة لا يؤاخذ ويترك وشأنه. ويمكن ان نقول هنا إن حديث "التارك لدينه المفارق للجماعة" متصل بمسألة الخيانة العظ